

## لبنان على بركان

انهما الكتاب اعلاه نقلنا عن مراسلين اجانب هم من الغرب ، اي من اصدقاء لبنان التقليديين . وهي ستحق « شرف » الامتياز لانها كانت البادئة . لكن الحرب الفذرة عمت الجميع فيما بعد ، طبعا بتسبب معاوية . بيد ان ما نستطيع تكيده هو ان الرواة من وطنيين واجانب لم يسهلوا على حزب لبناني تدمي او على منظمات المقاومة الفلسطينية باعمال القتل مثلا ، ولا بحيازة اهبية وفرق للتنفيذ ، وان حوادث الخطف والقتل التي رد بها خصوم الكتاب وحملاتها كان معظمها - ان لم نقل كلها - على ايدي جماعات مرتجلة او افراد ، كذلك الفلسطيني الذي ما ان يلفه في صور نسا قتل شقيقه عند حاجز في بلدة الدامور حتى احتجز اول خمسة اشخاص التقى بهم ، ممن ينتسبون بالدين الى من اغتالوا شقيقه وافرغ فيهم رصاص رشاشه . نعم وقعت حوادث فردية من هذا القبيل في المعسكر المصادي للكتائب وانصارها ، لكنها على فظاعتها تبقى اقل بشاعة وفضاعة مما فد تدبره جماعة سياسية منتظمة في حزب ، يفرض فيها ادنى قدر من الاحترام للمبادئ والقيم ، وان اسوا ما يتبادر الى الذهن ان يكون الترويع والتفطيع خطة مدروسة - وليس مجرد انفجار طاريء - غابتها الوصول الى انجاز سياسي - كالتقسيم مثلا - على غرار « دير ياسين » الصهيونية .

نعود فنسأل : ماذا جنى لبنان ، وماذا جنى اللبنانيون حتى استحموا هذه العاصفة من الجنون .. هذا البركان البشري المتفجر غضبا وحفدا وقتلا ودمارا ؟ اربعة الاف قتيل كما تقول الاحصاءات الاولية .. وعشرة الاف جريح او معطب . عدا الضحايا والاضرار الاقتصادية والمادية التي قدرها المراقبون بحوالي اربعة مليارات ليرة لبنانية ، اي اربعة احماس الدخل القومي في عام واحد .. عدا ما تضر من اخلاق وانهار من قيم وانبتت من رواسب عند شعب واحد قدره ان يتمايش . لان شطره محال ، سواء على الصعيد الجغرافي او الديموغرافي او التاريخي . ما الذي جنى لبنان حتى نزلت به الكارثة؟

الرئيس كرامي قال : انه غضب من الله . وهذا خير تفسير او ايسر تفسير . لكني بروما - لبنان بلغت الاج في بدخها وترفها واسترخائها ولا ميالاتها ، فاحترقت بنار شهواتها .. كم فرح لبنان بانه ظل وحده الناجي السعيد من لهيب المنطقة ، بينما عن « مشاكلها وهمومها واختلاجاتها وحروبها ، يشاركها بال عاطفة واللسان والقلم ، وكفى الله اللبنانيين شر القتال .. والله لا يحب الاكتفاء بهذه المشاركة على ما يظهر . اهترى لبنان لو اشترك مع الاشقاء في السراء والضراء .. لو انه حارب في حدود ممكناته .. اما كان ذلك اجدى عليهم او فر مما وقع فيه ؟ « لربما كانت خسائره المادية في الحرب تجاوزت قليلا ما خسر في حربه على نفسه » ، لكنه كان دون شك قد ربح ما لا يقدر وما لا يحصى بعمودية

فيما كانت الاذاعة اللبنانية تنفي بانسانية لبنان ومسيرته الحضارية على مر الازمان ، فصيدا وزجلا ومزيفات جبرانية ، كان الوحش اللبناني ملك الشوارع والضواحي في بيروت العاصمة ، وبضمه انحاء من القطر العربي الجليل ، يصول ويجول ويفترق من اجرام التفيل والنجيل والنميشل بالبحث ما ندر ان عرف مثله اقدر العروب الهمجية عبر التاريخ ..

ولم يدم ذلك على امتداد يوم او يومين . بل طوال اشهر ، على وجه التحديد من ١٣ نيسان ١٩٧٥ حتى الاسبوع الاول من تشرين الثاني - في ثماني جولات صعدت في العنف والضراوة ، ونظلتها مهادنات رجراجة هشة ، نرجو ان لا تكون احداها هذه التي نعيشها ونحن نكتب هذه السطور . « اطلقوا النار على كل ما يتحرك .. » هذا هو الامر الذي سمعه اكثر من مراسل اجنبي ينطلق من افواه فاذة ميليشيا الكتائب لقناصتهم . وكم من بريء كان « يتحرك » ماشيا في الشوارع ذاهبا الى عمله او عائدا الى بيته ، وقع في المصيدة وسقط على الارض جثة بلا حراك ..

اما من نجأ ، فكان في انتظاره احيانا متراس وراءه مسلحون يسألونه ايراز اوراق هويته . وبأويله ان كان فلسطينيا او سوريا او مصريا او عربيا من حيثما كان اولبانيا من طائفة معينة ، يحظه يفلق الصخر ان خرج حيا من التجربة ، ولم يصب الا بعدد لا بأس به من الرضوض والكدمات ..

وكانت الصواريخ وقذائف الهاون والقنابل المحرقة تلقى في الليل على بيوت الامنين والتاجر والمكاتب اصعاف اصعاف ما تلقى على المسكين . وفي احدى الغارات على سوق تجارية ، انهار فندق متواضع على من فيه من النزلاء ، وعددهم ستون ، فقتلوا او جرحوا جميعا .

وشأت الصدفة - صدفة لعلها خير من ميعاد - ان يعمل هذا الفندق لافتة كتب عليها « الفندق العربي » ..

كانت حربا بشعة فذرة بالفعل . خلت بمجملها من أبسط مبادئ الفروسية . فالقتل ببندقية ذات منظار ، تقتل على مسافة الفمتر ، كان من مميزاتنا . وهذا السلاح الحاد البصر ، الرائع التصويب ، تحول في حوادث لبنان الى سلاح اعمى طائش ، لانه كان يستهدف بوجه عام السابلة من الابرياء والعزل . هل نذكر حكاية ذلك القناص الذي شوهد على سطح مبنى في اثناء الحرب الاهلية الاسبانية عام ١٩٣٦ ، يطلق النار في جميع الاتجاهات . ولا حوصر واعتقل وسئل عن الفريق الذي ينتمي اليه . اجاب : « انا احارب لحسابي الخاص .. » هل نذكر ان هذه الحكاية جرت مجرى الامثال ، وامست لندرتها وظرافتها « بكسة عالية » ؟ . لقد امست النكتة في لبنان هي القاعدة .

ما الذي حل بلبنان .. ما الذي اصاب هذا الشعب الوداع فحواله او حول بعضه الى ذئب ؟

حقيقية بنار ظهور ، تشدد وجدنه وتمزز فيهم الوضعية والانسانية وتزوده بامجاد فعلية لا بد منها لكل شعب ينشد مكانا كريما تحت الشمس .



بعد حمدنا الله الذي بلانا بشيء من الخوف وبفضل الشرات .. كما يبلو سائر عباده ، تعالوا نر ماذا فعل الانسان في لبنان حتى اصابه ما اصابه .

لقد كانت وكالات الانباء ومحطات الاذاعة العالمية تحار في وصف الحرب التي وقعت في بلدا . وهي على حق في ان تحار ، فهل هي بين اللبنانيين والمقاومة الفلسطينية .. ام هي اهليه سيما بين اللبنانيين انفسهم ، وان كانت كذلك فهل هي حرب فانقيه اي بين المسيحيين والمسلمين ، ام طبقية اي بين اليسار واليمين؟

اواقع انها كانت كل هذا في وقت واحد ، وعلى الازل ، بالنسبة الى من اتاروها ووسعوا نطاقها فسنوها بلا هوادة ولا فروسية . فحزب ، سبب ضائي النساء راسرنيب ، سخر للعروبة داخل حدود لبنان ، حذر من ارتفاع موجها وتعاظم قوتها من حول لبنان ، يميني النزعة ، فاضي الاساييب دسيما في « ميليشيا » . وهو على عكس ما يدعي به وعملاؤه احيانا من نصريحات تحديريه ، معاد لندره المسلمة سي لبنان لابها عربية الشعور والانتماء والهدف . معاد للقدميين من ايه طامسه كانوا ، مؤيد لبعاء النظام القائم وبحجيره الى الابد . معاد للوجود الفلسطيني ، على الاخص بعد ان تحول كثير من اللاجئين الفلسطينيين على ارضه الى مجاهدين مسلحين وفدائيين .

وهكذا يستطيع القاري استنتاج هوية اتفرق الاخر . ذلك الفريق الذي ان لم تجمه وحدة الهدف ، فقد جمعه حزب الكتائب وانصاره لدفاع مشروع عن النفس . بمعنى ان الجماهير الاسلامية اقلية للقومية العربية من جهة ، والمقبولة الصفة في النظام الطائفي القائم من جهة ثانية لان موقعها منه هو موقع الاقلية مع انها في الحقيقة والواقع الاكثرية ، ثم اليسار ممثلا ومنظرفا من مخلف الطوائف ، الطامح الى تطوير النظام وجعله تقديما ما امكن ، ثم المقاومة الفلسطينية ، كل هؤلاء راوا انفسهم مجتمعين تلقائيا في حلف واحد .

وينبغي التوكيد في موضوعية صارخة ان العامل الطائفي له دوره في كل ما يتعلق بلبنان او يجري فيه ، انما يجب الاشارة ايضا اي ان هذا العامل ليس دينيا او مذهبيا صرفا ، وان الاتجاهات القومية والاهداف السياسية تتداخله بشكل يكاد يكون ظاهريا . فالتمصبا لديني بعمته المطلق ليس بالقوة التي قد يتصورها من يعيش خارج لبنان . وذلك لان الطائفتين الكبريين عندنا نديان بدينين سماويين توحيديين . وليس بينهما ما يبين المسلمين والهندوس في الهند مثلا . ولا حتى ما يبين الكاثوليك والبروتستانت ، مثلا اخر ، لانه لم ينشق المسلمون عن المسيحية او العكس . وعلى صعيد التعامل الشخصي واليومي ، قلما تجد تميزا وتفرقا بين المسلم والنصراني . ومرد ذلك الى تاريخ طويل من التعايش . ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان للمسلمين - لا سيما العرب - يدا في ذلك . فالفاتحون والحكامون لهذه المنطقة قروننا طويلة لم ينظروا الى المسيحيين - وحتى اليهود - نظرتهم الى اعداء ولا حاولوا يوما ابادتهم كما فعل غيرهم في اسبانيا ومالطة حيث قضاوا على كل مسلم بعد استعادتهما من ايدي العرب المسلمين . وهناك شواهد تاريخية على ان النصارى الشرقيين ( الارثوذكس ) حاربوا جنبا لجنب مع المسلمين في وجه الزحف الصليبي الاوروبي .

وغني عن البيان ان الفضل في ذلك هو لجهء الاسلام بعسد المسيحية ، واعتبره المسيحيين اهل كتاب لا « كفارا » كالكوثيين ، نحل

ذبايحهم للكل ويحل الزواج من بناتهم . زد على ذلك نسا صريحا في آية قرآنية تعتبر النصارى اقرب الناس مودة الى المسلمين .

وبديهي ان مسيحي الشرق بوجه عام قدروا معاملة المسلمين فانحين وحكما ، وعدم مضايقتهم في اعتناق عقيدتهم وممارستهم شعائرها ، تقابلوا الجميل بمثله . وعاونوا مع المسلمين في بنى حقول النشاط الانساني . وساعد على ذلك في بعض الاحوال اصل عربي واحد او استعراب عن ضيب خاطر .

ولئن اهتزت الصورة بعض الشيء في ظل الحكم التركي ، لهدم تفقه كل الاتراك بلغة القرآن ، فان هذا الحكم على الرغم من اصطدامه العنيف الطويل باوروبا المسيحية ، وممارسته نوعا من الاضطهاد على العناصر المسيحية ، فانه لم يتحدر الى شن حملة ابادية جماعية عليها .

ان الحس الطائفي في لبنان ، طالما ساوره السياسة . لا سيما بعد ارضاع ابد الاستعماري الاوروبي ، خصوصا بالنسبة الى الطوائف اللاتينية التي سبغ كنيسته روما ، وابهر هذه الطوائف وادوها واشطها واكرها تناسه في الجيل الطائفة المارونية . وقد كتب هذه الطائفة عن طريق الاكديروس على اتصال دائم بروما وفرنسا . ملكة في العالم .

ولا عجب ان اهدت الرابطة الروحية بينها وبين الغرب اوروبي الى حلفي الثقافة والسياسة . وجاءت حرب ١٨٦٠ التي رذخت فيها فرنسا الى جانب الموارنة بوق عرى الصداقة ، وجاء الانتداب الفرنسي بين عامي ١٩١٨ و١٩٤٣ يرفع هذه الصداقة الى درجة التآخي . ونخل ذلك غيوم مصدرها فرنسا التي كانت مضطرة بحكم علاقاتها مع العالم العربي الاسلامي في شمال افريقيا وفي سوريا الى سلوك طريق تعكر مزاج الراديكاليين من الموارنة او تستشير سخطهم .

وللقاري ان يغدر مدى التضحية التي اقدمت عليها الطائفة المارونية اولا ومعظم المسيحيين في لبنان ممن اُزرت فيهم سنوات الانتداب الفرنسي تعافيا وسياسيا ، على ضوء الاستقلال عام ١٩٤٣ ، مهما بدا له الامر مدهسا . ناي سعب يرفض الاستقلال ثم يساوم عليه ويضع شروطا لقبوله ؟ لكن هذا بالفعل ما حدث . ونتيجة المساومة كانت ما يسمى « الميتا الوضوي » غير المنوب . ومؤذاه ان يتخلى المسيحيون عن حماية فرنسا لقاء تخلي المسلمين عن الانضمام الى سوريا ، وان يحتفظ الاولون ببعض الامتيازات كان يعتبروا اكثرية بنسبة ٦ الى ٥ بمعدل عن اي احصاء ، ويفوزوا بالمقاعد النيابية والمناصب والوظائف على اساس هذه النسبة .

وهو يزول استفرايك - او يزداد .. - حين تعلم ان الاستقلال في مفهوم كثرة المسيحيين اللبنانيين وعلى رأسهم الموارنة (اذ كان بينهم طبعا قلة تؤمن بالعروبة او تألفها وترفض كل حماية اجنبية ) كان الاستقلال اولا عن سوريا ، وبالتالي عن بقية العرب . وعيد استقلالهم هو اول ايلول ١٩٢٠ الذي اعلن فيه استقلال « لبنان الكبير » في ظل الحماية الفرنسية ، اي ضم الساحل اللبناني والاقضية الاربعة في الداخل ( وهي مناطق معظم سكانها من المسلمين ) الى لبنان الصغير الذي منح عام ١٨٦٤ استقلالاً ذاتياً تحميه سبع دول اوروبية في نطاق السلطنة العثمانية .

وكثيرون يعتقدون انه ما كان هنالك لزوم للتنازلات الاسلامية ، لان الاستقلال كان شيئا مقررنا لا مفر منه ، بارادة لندن وجيشها الثامن المحتل لبنان ومعها فصائل فرنسية ديغولية تابعة لقيادته . ومشهورة نادرة المغفور له حبيب ابو شهلا ( وهو من زعماء الارثوذكس وابطال الاستقلال ) اذ قال ذات يوم في مجلس خاص :

- كفاكم كلاما عن الاستقلال وابطال الاستقلال .. فالاستقلال

فرض علينا فرضا كالانحداب تماما . وكل ما امتزنا به نحن ان حاسه  
الشم كانت عندنا اقوى مما هي عند سوانا . .

المهم ان الاستقلال ، انتزاعا او فرضا او بالمفاوضة ، قد  
تحقق . ودخل لبنان بنحط او بغير نحط جامعة الدول العربية بعد  
ان اشترك في وضع ميثاقها بالاسكندرية عام ١٩٤٥ . لكنه الى جانب  
ذلك ، احتفظ بجميع مميزات الاستعمار : الدستور ( الذي لم يحدف  
منه الا المواد المتعلقة بمباشرة سلطات الانحداب ) وهو دستور له مظهر  
دستور الجمهورية الفرنسية الناته ، ومخبر ديكاتور يحرص جميع  
السلطات التنفيذية في رئيس الجمهورية دون مسؤولية ، ولا يعطي  
رئيس الوزراء من الصلاحيات الا التوقيع على المراسيم مع المجلس  
مسؤولية كل ما يعمل امام البرلمان . والموروث الثاني هو الجيش  
الذي كان يتألف بطبيعة الحال من ضباط مسيحيين بكثرتهم الساحفة  
لان المسلمين كانوا بوجه عام يفتون من الانحداب الفرنسي سوفف  
السلبية ، وهذا الجيش اللبناني . . لم يكن الا تبعا وامدادا لجيش  
الاحتلال في الشرق ، اي في سوريا ولبنان .

وما ان انقضت بضعة اعوام على الاستقلال ، تميزت اكثر ما تميزت  
بعمليات فساد في اجهزة الدولة ، ( وكان من الاعداء لبريز هسهه  
العمليات ان « الضرورة الوطنية » تعفي بها محذرة من بخوف من  
فعلوا الاستقلال على مضمف . . ) حتى بدأ الصراع حينا في العلس  
واحيانا في الحفاء بين الانفزاليين وانصار العرويه . واشترك بعض  
رعماء الاصعاع والبرجوازية من المسلمين في لعبه الانفزاليين ، دائما  
من اجل سيف فلوبهم وبعوئهم على الطمينة في ظل الاستقلال . . .  
وكانت الهديه الاولى فمصم الوحدة الاقتصادية والجمركية مع  
سوريا ، بلك اوحده التي لم يفصمها الانحداب نفسه .

ويجب الاعتراف ان انصار العرويه من الكثرة الاسلامية ابدا  
كثيرا من التسامح في النزالات . فعدا قبولهم بالعرف رئاسة مارويه  
للجمهورية بقيادة مارويه للجيش كامر واقع لا محيد عنه ، فبلوا بان  
يظل يوم الاحد يوم عطلة اسبوعية ، وان تبقى اللغة الفرنسية طافية  
على لغة البلاد في البرامج التعليمية ، وان يكون شعار جمعية  
الاسعاف الدولية « صليبا احمر » بدلا من صليب يحق به هلال كما  
اقترح بعضهم . . الى جانب ارتضائهم ان يكونوا رسديا « الاقلية » وهم  
في الواقع الاثريه . كان كل همهم ان يستقيم سير لبنان العربي ، وان  
يندمج لبنان ما امكن في الاسرة العربية . وكان لهم ما اردوا الى  
حد كبير من هذه الناحية . فلبنان في سياسته الخارجية منسجم مع  
المجموعة العربية . وهم قابلون بما يعصيهم من غبن في توزيع مكاسب  
الحكم من جاء ونفوذ ومال ( المال على اساس ما يوفره النفوذ الحكومي  
من ابواب رزق في الدولة وسائر المؤسسات والحقول . . ولا نقصد  
المال الاخر . . ) وعزاؤهم ان العرويه بخير في لبنان . وان لبنان  
سائر في الركب لا يفكر بمد اليد الى اجنبي قد بصطاد في مياهننا  
التي عكرتها اسرائيل وعكرها نفر من حكام العرب برجعتهم وانانيتهم .

لا اريد ان اخلع صفة المثالية على مسلمي لبنان . فهم كسائر  
البشر لهم حقوق ومطالب يحرصون على احرازها . وكانوا يتسهمون  
بين الفينة والفينة ، لكنهم ما كانوا يفتون الى حد الثورة . كانت  
الثورة في نظرهم وففا على الشأن الاستقلالي والشئ العربي . ما  
الثورة للمطالب والحقوق ففي وسعها الانتظار ، ولا بد ان ياتي يومها  
اذا لم تسو الامور بالنهي هي احسن .

لقد ناروا مرة واحدة عام ١٩٥٨ . وكانت ثورتهم على انحراف  
رئيس الجمهورية حينذاك الاستاذ كميل شمعون . ثورة على رغبته في  
اشراك لبنان بحلف بغداد ، اي باعادة النفوذ الغربي الى المنطقة بعد  
ان طرده الرئيس عبدالناصر من صفاف النيل . وطارده على امتداد

الوطن العربي الكبير كله . وهددوا بالثورة مرة واحدة عندما قامت  
مؤامرة على الجامعة العربية التي انشأها عبدالناصر فرعا لجامعة  
الاسكندرية في بيروت ، وفتح فيها معهدا لتدريس الحقوق باللغة  
العربية . ونجحوا في المزين ، فسقط الرئيس شمعون وسقط حلف  
بغداد بثورة عارف وواسم التي استقلت احسن استقلال ثورة لبنان  
للاطاحة بالملكية واسقاط نوري السعيد .

وسي المرينين وفتت الدئاب وحلهاؤها موففا معاديا . في بوره  
١٩٥٨ وحين نأكد نجاحها ، حولتها « ميلينيا » الكتاب الى معركة  
طائفية مائه في المائة ، ونجحت في تسهيم الموقف ، فتنادى انادي  
بوجوب وقف الفينة الدهماء ، ووففت الكتاب وانصارها الى ما عرف  
بصيفة « لا عاب ولا مقلوب » كيلا يحس الفريق العربي في لبنان  
( وهو كثره المسلمين وبعض المسيحيين ) بانه انتصر وحده ، وسجحت  
امامه طريق اسلف الى اهداف اخرى . .

وسي حادد الجامعة العربية ( او معهد الحقوق فيها ) اضرب  
المحامون وهم بكثرهم من الانفزاليين نسمة اشهر لاغلافها ولم يفلحوا .  
ولعلها كانت اول مرة في تاريخ الثقافة والحضارة ، يضرب فيها عن  
العدل جهاته من المتفتين لسؤال هذه المدة للحيلولة دون فتح دار للعالم .  
وهذه اتحاده يعطي الفاريه فكره عن جموح العاضه السياسية  
وجنوحها الى التخريب ، عندما تستبد باناس يزعمون انهم الفريق  
المنطور الراقي في البلاد ، ثم يبذلون المستحيل كي لا يتطور ويرقى  
الفريق الاخر .

وهي مع سابقة الكتاب في ثورة ١٩٥٨ تفصح عن عقلية الانفزاليين  
المنارة المتكره التي تجلت في احداث لبنان الاخيرة .

★ ★ ★

اذن ، خلال ثلاثين سنة من الاستقلال كانت كرة تلج الطائفية  
المسيية لا تنفك تندرج على الرفعة اللبنانية ، وتضخم مكاسب  
جديدة على صعيد النفوذ والثراء معا ، وعلى حساب الفريق الاخر  
مناطق وافرادا . وتأخذ نعت ابها بالطبع نفرا من هذا الفريق نظفية  
للمبتها . ونحت ستار النظام الاقتصادي الحر ، ازدهرت حرية  
السرفه والاحتيال والرشوة بشكل قل نظيره ، ووصل الفساد الى  
دوائر واجهزة يفرض فيها ان تكون فوق الشبهات .

وكانت الطبقة المستفيدة لا تبالي ، ولا تنظر الى ما يجري حولها ،  
من ثورات شعبية وانتفاضات اشتراكية . ولا تحسب حسابا للاجيال  
الطالعة من طلبة وعمال ومثقفين من كل الطوائف في طموحها الى  
التغيير بالاصلاح او بالثورة .

وكان الضمير الشعبي اللبناني الطامح الى حكم سوي عصري ،  
يتسم بالنزاهة والوطنية والعدالة ، قد بدأ يتلملم ويتحرك . وكان لا  
مفر من اصطدام داخلي بين القدامى والجدد ، بين المتخمين والمحرومين ،  
بين الانفزاليين والعروبيين ، بين الاثريه الحقيقية والاثريه الوهميه ،  
سواء وجد الفلسطينيون على ارض لبنان او لم يوجدوا . لكن وجود  
الفلسطينيين بعد تحولهم الى مكافحين ، عجل اوان الانفجار . وكان  
المفجرون - ويا لمحب المتناقضات - هم اهل الجاه والفنى . فكانهم  
اردوا ان يسبقوا العاصفة ، ويقضوا عليها قبل هبوبها . .

لا تستغرب اذا قلت لك ان انصار العرويه في لبنان يفوفون فيسي  
حماستهم لها وذوبانهم في جها كل انصارها حيثما كانوا عن  
الرفعة العربية ، ربما باستثناء عرب فلسطين المحتلة . لان هؤلاء  
هم الاشد معاناة من ظلم اعدائها ومذليها . لكن عروبيي لبنان يقاسون  
ايضا من ذوي القربى ، من اناس يؤمنون بانهم اخوة لهم في القومية  
والوطن ، ويجدون انفسهم مضطرين في كل لحظة لليقظة والسهر .  
خشية الكمان والاشراك . . وكأني بهم في حرب دائمة مع « الاخوة

الانداء» ، حرب يربحون فيها جولات وقد يخسرون جولات . لكن من فضائل كل صراع انه يرسخ الايمان بالعقيدة ، ويشدد العزائم لبلوغ الهدف ، ويفني الروح بالانتصار .

والفلسطينيون عند انصار العروبة في لبنان ، هم الولد المدلل ، سواء يوم كانوا مشردين لاجئين ، او يوم اصبحوا ابطال كفاح وفداء . وهم كذلك اكثر عند اليساريين منهم ، لان اليسار هو الحق والعدل والانسانية . فمن اذى الفلسطيني ، فقد اذى كثرة الشعب اللبناني ووطنه في اعز من يحب .

والفريق الانزالي ، سواء كان في الحكم او خارجه ، لم يرقه ان يتعاطف باس الفلسطينيين المقيمين على ارضه . ولعله استاء اكثر ما استاء من التلاحم الذي قام بينهم وبين انصار العروبة واليساريين عامة من اللبنانيين . وكانسي بخيالهم المريض صور لهم اشياء لم تجل يوما في خواطر الفلسطينيين وهم اصحاب قضية ولهم حلم واحد هو العودة الى ارضهم وديارهم ، ولا يريد ان نزع او نصدق ان همسا من خارج صور لهم هذه الاشياء . كل ما حدث ان الفريق الانزالي راح يضيق ذمعا بالوجود الفلسطيني، مدعيًا انه خطر على السادة اللبنانية . ونسوا ان هذه السيادة لا تآثر باخ قذفته الى دارك اقدار ظالمة ، وهو يضع روحه على كفه في كل لحظة بغية قهر هذه الظروف وعودة عشيرته من حيث آتت ، الى جوار مقدساته ورحاب مزارعته وبساتينه . ولئن صورت من بعض العشيرة اعمال مبعثها المفالاة في الحيطه والحفر ، فلا يضيرك ذلك ، بل تتفاضى وتعذر وتفقر . اما وبساتينه . ولئن صدرت من بعض العشيرة اعمال مبعثها المفالاة في ارضيت ان تكون شرطيا لامنه ، وخداما لآربه .

والواقع ان السلطة حاولت غير مرة ان « تؤدب » المقاومة الفلسطينية ، فوجدت في وجهها المقاومة والجماهير اللبنانية . مما دفعها اخيرا الى التسليم بارادة الشعب .

وحدث ان تكلم رئيس الجمهورية اللبنانية نفسه على منبر الامم المتحدة باسمه وباسم تسع عشرة دولة شقيقة . مدافعا عن حق الشعب الفلسطيني ، وعن نضاله العادل .

واعتمد الجميع بعد هذا الموقف وهذه الشهادة امام العالم بأسره ، ان المحرّش بالوجود الفلسطيني في لبنان قد انتهى الى غير رجعة . لكن ما كاد ينقضي على خطاب الرئيس اشهر . بل اسابيع ، حتى راح الشيخ بيار الجميل رئيس حزب الكتائب ، يثير مشككة هذا الوجود ، ومسألة السيادة ، مع التشديد طبعا على ان الكتائب تنصر الحق الفلسطيني وتحبي الكفاح الفلسطيني . وليس عندها ما هو اعلى من « القضية .. الفلسطينية .. »

وبعد اسابيع ، بل ايام ، كانت سيارة ركاب كبيرة نقل عددا من الفلسطينيين العزل - وبينهم شيوخ ونساء - العائدين من مهرجان الى مخيمهم في الطرف الاخر من المدينة ، مارة بشوارع تجمع فيه الكتائبون المسلحون لان مرافق زعيمهم الشيخ بيار الجميل اغتيل هناك على ايدي مجهولين ، فاعترضوا السيارة وانهاوا على ركابها بالرشاشات فقتلوا منهم سبعة وعشرين ونجا اثنان او ثلاثة باعجوبة بعد اصابتهم بجروح ..

وكانت هذه الفاجعة الروعة بداية للحوادث التي امتدت فيما بعد ودامت سبعة اشهر .

ابى رئيس الوزراء آنذاك الاستاذ رشيد الصلح ، وهو وزير الداخلية في الوقت نفسه ، ان يستدعي الجيش للمساهمة في اقرار الامن والنظام . وذلك لانه انزل الجيش قبل اسبوع لقمه تظاهرة في مدينة صيدا قام بها الصيادون احتجاجا على تاسيس شركة لصيد السمك بالوسائل الحديثة مطالبين بتامين رزقهم ، فقتل الجيش

خمسة عشر من الصيادين والمظاهرين معهم ، وفقد هو خمسة جنود . كما اصيب النائب السابق معروف سعد ( وهو زعيم شعبي يساري ) اصابة خطيرة نقل على اثرها الى المستشفى ، حيث فارقه الحياة بعد ايام . وكان وزير الداخلية الرئيس الصلح حين علم ببدء الاشتباك بين الجيش والمظاهرين قد طلب الى الجيش الانسحاب ، فلم يصدع بأمره ، وادى ذلك الى استقالة احد الوزراء السيد مالك سلام احتجاجا على عدم اكرام الجيش بسلطة الحكومة . وقامت في اليوم التالي مظاهرة كبرى استنكارا لموقف فادة الجيش، سارت في العاصمة المضربة . وبعد يومين دعا الكتائبون في احيائهم الى تظاهرة مضادة حيث الجيش وقادته وهتفت لهم . واعتبر المسلمون ان قيام هذه التظاهرة هو دليل على انحياز الجيش وطبعه بطابع مسيحي .

فلما وقع حادث السيارة الفاجع ، ابى الرئيس رشيد الصلح استدعاء الجيش الى الساحة ، خشية ان يتفاهم الموقف وان يحدث انقسام في صفوف الجند .

وهكذا ترك المتقاتلون وحدهم في الساحة . لان قوى الامن الداخلي لا تملك الوسائل الكافية لكفحتهم ، لا سيما وانهم في كلا العسكريين ، يستخدمون اسلحة حربية قوية .

وبين مطالبة فريق الكتائب وحلفائها بنزول الجيش ، واصرار رئيس الحكومة على عدم انزاله ، ووقوف السلطة العليا اثنى جانب الفريق الاول ، استقال الاستاذ رشيد الصلح بعد ان اتقى في البرلمان بيانا اعتبر الرصاصة الاولى المسددة مباشرة الى صدر النظام القائم ، ففراه من نيابه وكشف كل عوراته وقد فعل ذلك بالاتفاق مع الفريق الاسلامي - التقدمي .

ذلك ان هذا الفريق ادرك اخيرا ان امانه القومية - وليست مصالحه المحلية - هي المهتدة تحت مظلة النظام الدستوري القائم . وقرروا لاول مرة ان يطرح مطالبه السياسية لتقويم العوج وتامين التوازن والعدل في مؤسسات الدولة . وطالب التقدميون والمسلمون ( الاء بالسنه مشايخهم ) بالغاء الطائفية السياسية واقامة حكم ديمه اليه سليم .

ولم يعد الوجود الفلسطيني جوهر المشككة . بل الخلاف بين فريقين من اللبنانيين انفسهم . مع التنويه طبعا بان مطالب الفريق التقدمي تكفل سلامة الوجود الفلسطيني دون لبس ولا عائق .

المعركة هي معركة نظام الحكم فهل يحل بالسلاح ام بالحوار ؟

رئيس الحكومة الحالي الذي حملته الى منصبه موجة شعبية من الفريق التقدمي الذي يؤلف ٧٥ في المائة من السكان كما يقدر الزعيم التقدمي الاستاذ كمال جنبلاط ، يؤمن بالحوار . وهو يبذل من صبره وحضنته ما لا يتصوره العقل في سبيل اعتماد السلاح واعتماد الحوار . والفريق التقدمي يؤده في ذلك ، مع استعدادة للحرب لمن يريد الحرب .

ومن اغرب المفارقات في هذه المعركة ان الفريق اليميني الممثل في حزب الكتائب وحزب الوطنيين الاحرار ( وزعيمه كميل شمعون ) وجيش التحرير في زغرتا ( بلدة رئيس الجمهورية ) وحراس الازرة الخ . الخ . نقول ان هذا الفريق الناعم بخيرات النظام الحالي وامتيازاته ، الحريص على بقاءه وخلوده .. هو الذي بدأ « الثورة » في الشارع ، وهو الذي يضرب مرافق البلاد ويحطم وحدته واقتصاده . بينما الفريق الناعم الثائر على النظام هو الذي براعي جانب الاعتدال ، ويريد انقاذ البلد من المحنة بأسرع ما يمكن . وهذا ما يدعو الى القول ان الطائفيين والمستغلين الذين كانوا سادة النظام القائم طوال ثلاثين سنة ، قد افلسوا في سلمهم ، وهم يفسلون اليوم في حريهم !